

دراسة المعجمات اللفوية

٢ - المصباح المنير

١٠٠ - وقال صاحب المصباح المنير في مادة ج ي ل : « الجليل : الأمة والجمع أجيال ، والجيل اسم لبلاد متفرقة ... » . ولم يذكر الجليل بمعنى « القرن » مع أنه يقول في قرن : « والقرن أيضاً الجيسل من الناس ، قيل ثمانون سنة وقيل سبعون ، وقال الزجاج : الذي عندي - والله أعلم - أن القرن أهل كل مدة كان فيها نبي أو طبقة من أهل العلم سواء قلت السنون ^(١) أو كثرت ، قال : والدليل عليه قوله عليه السلام (خير القرون قرني) يعني أصحابه (ثم الذي يلونهم) أي الذين يأخذون عن التابعين » .

١٠١ - وقال في ح ب ب عند الكلام على الحبيب : « وجمع المذكر أحياء ، وكان القياس أن يجمع جمع شرفاء ولكن استكرد لاجتماع المثليين ، قالوا : كل ما كان على فعيل من الصفات فإن كان غير مضاعف فبإيه فعلاء مثل شريف وشرفاء ، وإن كان مضاعفاً فبإيه أفعلاء مثل حبيب وطيب وخبيل » .

قلت : كان ينبغي أن يقال في قاعدة هذا الجمع : « كل ما كان على فعيل بمعنى فاعل من الصفات » لأن مثل قتيل وجريح لا يجمع على « فعلاء » إلا شذوذاً ، ويقال أيضاً في تعليل الجمع : « استكرد لاجتماع المثليين المتحركين في الجمع » وإلا فإن المثليين مجتمعان في « أحياء وأخلاء » إلا أن أولها ساكن ، فذهب بالتسكين بعض الثقل من اجتماعهما .

١٠٢ - وقال في ب ز ر : « والحب بالكسر : بزور ما لا يقنات مثل بزور الرياحين

(١) لعل السواب « أم كثرت » ويجوز طرح أم بطرح سواء فيقال « قلت السنون أو كثرت » .

دراسة المعجمات اللغوية

الواحدة حبة ، وفي الحديث : كما تثبت الحبة في حميل السيل . هو بالسكسر . وقد عدى « اقتات » بنفسه وهو فصيح إلا أنه لم يذكر ذلك في ق و ت ، فقد قال : « واقتات به : أكله » معدياً بإداء بالياء .

١٠٣ — وقال في ح ب ر : « وحبرت الشيء حبراً من باب قتل : زينته وفرحته » . والضمير في « فرحته » يعود إلى الشيء ، ويصعب تصور تفریح الشيء وإن جاز أن يطلق على الإنسان إطلافاً كلامياً^(١) ، فكان أحسن أن يقال « وحبرت الشيء حبراً ... زينته والانسان فرحته » .

١٠٤ — وجاء في المادة المذكورة « قال الأزهري : ليس حبرة موضعاً أوشيناً معلوماً إنما هو وشي معلوم أصيف الثوب إليه كما قيل ثوب فرمز بالاضافة والقرمز صبغة ، فأضيف الثوب الى الوشي والصبغ للتوضيح » . ولم يذكر مؤلف المصباح « القرمز » في موضع مادته من مصباحه .

١٠٥ — وقال في ح ت ف « يقال مات حنتف أنفه إذا مات من غير ضرب ولا قتل ، وزاد الصغاني : ولا غرق ولا حرق ... وهذه الكلمة تسكلم بها أهل الجاهلية قال السموال :

وما مات منا سيد حنتف أنفه » .

قلت : أطبق رواية اللغة على أن النبي — صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم — أول من قال هذه العبارة من العرب ، قال الشريف الرضي — رح — في كلامه على المجازات النبوية : « ومن ذلك قوله — عليه الصلاة والسلام — : مات حنتف أنفه . وذلك مجاز لأنه

(١) قال مولانا شمس الدين : « والشئىء في اللغة عبارة عن كل وجود إنسانياً كالاجسام أو حكماً كالأقوال نحو قلت : شرباً » . وسننقل قول أبي هلال العسكري « من شرب ما ألفاك أهلك : بضرب مثلاً للرجل والشئىء يتعاضى ولا يقرب » « جمهرة الأمثال من ١٩١ من طبعة الهند » . فقد فرق بين الرجل والشئىء .

جمل الحنف لأنفه خاصاً وهو في الحقيقة له عاماً ، لأن الميت ^(١) على فراشه من غير أن يعجله القتل إنما يتنفس شيئاً فشيئاً حتى ينقضي ذمأوده ، وتقضى حوياًؤه ، نخس — عليه الصلاة والسلام — الأنف بذلك لأنه جهة خروج النفس وحاول الموت ، ولا يكاد يقال ذلك في سائر الميتات حتى تكون الميتة ذات مهلة ، وتكون النفس غير معجلة ، فلا يستعمل ذلك في الميتة بالعرق والهدم وجميع فجأة الموت ، وإنما يستعمل في العلة المطاولة ، والميتة الماطلة ، وروي عن أمير المؤمنين عليّ — عليه السلام — أنه قال : ما سمعت كلمة غريبة ^(٢) إلا وقد سمعتها من رسول الله — ص — وسمعته يقول : مات حنف أنفه ، وما سمعتها من عربي قبله ^(٣) .

أما الشطر الذي ذكره الفيومي ناسباً إياه إلى السمور على فهو من القصيدة اللامية المشهورة التي نحلها السؤال بعض ذريته من الرواة المدلسين ، وأدخل فيها ألفاظاً ظنها تعطي على التزوير كالأبلى الفرد ، وإنما القصيدة للحارثي الشاعر وسماه الصولي « زياد بن عبيد الله الحارثي ^(٤) » ، قال الصولي : « وما يروي ناسمأل وهو للحارثي :

تسيل على حد السيوف نفوسنا	وليس على غير السيوف تسيل
يقرب حب الموت آجالنا لنا	وتكره آجالهم فتطول
وما مات منا سيد في فراشه	ولا ظل منا حيث كان قتيل ^(٥)

(١) كذا ورد في طبعة معتمدى الدان الطلي بالقاهرة سنة ١٩٣٧ ولعل الأصل « المات » لإرادة المحدث .

(٢) في الأصل الطبوع « عربية » ولا محل لها ، لأن مقتضى العبارة في وجودها هو أن جميع ما سمعه من العرب من كلام قد تكلم به رسول الله — ص — وهذا غير ممنول ، ولا فؤدة فيه .

(٣) المجازات النبوية ، ص ٦١ .

(٤) أخبار أبي تمام ، ص ٣٩ .

(٥) أخبار أبي تمام ، ص ١٤٠ .

وهذه الأبيات الثلاثة كافية في إدحاض نسبة القصيدة إلى السموعل ، ذلك أن الذي لا تسيل نفسه إلا نيل السيف ، ويقرب حب الموت أجله ولا يموت على فراشه ، لا يتحصن كالسموعل ويخلي بين ابنه العزيز والقتل ، كائنة ما كانت الحجة التي احتج بها لذلك الانحجار المدال على الفرق من الحرب والموت ، والحرص على المهجة والاشفاق البالغ عليها . وقد ورد اسم الحارثي بصورة « عبد الملك بن عبد الرحيم » في المطبوع من طبقات الشعراء لابن المعتز قال مؤلفه - ص ٢٧٦ - : « أخبار الحارثي واسمه عبد الملك بن عبد الرحيم ، حدثنا أبو مالك الأنصاري قال حدثني أبو الأسود الشاعر قال : كان الحارثي شاعراً مقلماً مفوهماً مقتدرأً مطبوعاً ، وكان لا يشبه بشعره شعراً (كذا) المحدثين الحضريين ، وكان نغمة نغمة الأعراب ... » . وبهذه الصورة ورد اسمه في هامش ديوان السموأل المخطوط المحفوظ في خزانة كتب المتحف العراقي .

١٠٦ - وقال في ح ج ج : « حج حجاً من باب قتل : قصد فهو حاج ، هذا أصله ثم قصر استعماله في الشرع على قصد الكعبة للحج أو العمرة ومنه يقال : ما حج ولكن دج ، فالحج قصد للنسك ، والدج القصد للتجارة ... » . ولم يذكر « الدج » في مادته بل ذكر الدجاج وجمعه .

١٠٧ - وقال في ح ج ز : « وحجزة السراويل يجمع شده والجمع حجز مثل غرفة وغرف » وقد أعاد الضمير مذكراً إلى السراويل ، مع أنه قال في س ر و ل : « السراويل أثني وبعض العرب يظن أنها جمع لأنها على وزان الجمع ، وبعضهم يذكر فيقول هي السراويل وهو السراويل ، وفرق في الجرد بين صيغتي التذكير والتأنيث فيقال هي السراويل وهو السروال ، والجمهور أن السراويل أعجمية وقيل عربية جمع سروالة تقديراً والجمع سراويلات » . فهو قد خالف الرأي الراجح الذي ذكره في أول المادة وهو تأنيث السراويل .

أما مسألة التأنيث والتذكير فتعرض على الواقع اللغوي وهو استعمال العرب ، فالذي

علمناه منه أنهم يؤثنون السراويل ، ومن ذلك المثل المشهور « من شر ما ألقاك أهلك » قال أبو هلال العسكري « من شر ما ألقاك أهلك ، يضرب مثلاً للرجل وللشيء يتحامي ولا يقرب » وذكر خبر غزو العرب للأبلة المدينة التي كانت على فوهة النهر المضاف إليها المعروف اليوم بنهر الخورة ، قال : « وأصاب رجل سراويل فلم يحسن لبسها فرماها وقال : أخزأك الله من ثوب فما تركك أهلك خير ، فجرى المثل ثم قيل : من شر ما ألقاك أهلك ^(١) » ، فقوله « فلم يحسن لبسها فرماها » يدل على تأنيها .

وذكر المبرد أن ملك الروم بعث إلى معاوية رومياً طويلاً ليطاول به العرب ، فوجه إلى قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي قال المبرد : « فلما مثل بين يدي معاوية نزع سراويله فرمى بها إلى الملعج فلبسها فنسالت ثنودته ، فأطرق مغلوباً ، فحدثت أن قيساً ليم في ذلك فقيل له : لم تبدلت هذا التبذل بحضرة معاوية ؟ هلا وجهت إلى غيرها فقال :

أردت لكيا يعلم الناس أنها سراويل قيس والوفود شهود
وأن لا يقولوا غاب قيس وهذه سراويل عادي تمته ثمود ^(٢)

وضمير السراويل والأشارة إليها مؤنثة ، وذكر الجواليقي أن « السروال » أعجمي معرب قال أولاً في باب معرفة مذاهب العرب في استعمال الأعجمي : « وقالوا : سراويل وإسماعيل ، وأصلها سروال وإشماويل ، وذلك تقرب السين من الشين في الهمس ^(٣) » . ثم قال : « وكذلك السراويل ^(٤) » وفي لسان العرب عن الليث أن « السراويل » أعجمية أعربت وأنتت وألجمت سراويلات ، وذهب بعضهم إلى أن سراويل بجمع سروالة ، ونقل عن الأزهري قوله : جاء السراويل على لفظ الجماعة وهي واحدة ،

(١) جريدة الأناضول ١٩١١ ، ص ١٩٢ .

(٢) الكامل في الأوب ٤ : ٩٤ طبعة المطبعة الأزهرية بالقاهرة .

(٣) تاريخ ٤ ص ٧٧ ولا يزال العراقيون يسمونها « السروال » بالسين المعجمة .

(٤) حر ٢ ص ١٩٦ .

قال : وقد سمعت غير واحد من الأعراب يقول : « سروال » وجاء في الجمهرة لابن دريد « ٣ : ٤٨٧ » . « قال أبو زيد العرب تؤث السراويل وهي اللغة العالية فمن ذكر فعلى معنى الثوب »^(١) . وقد ورد تذكرها في رحلة ابن فضال في العشر الأول من المئة الرابعة من الهجرة^(٢) .

والواقع اللغوي الذي هو سبيلنا في مثل هذا الأمر أقوى من كل استدلال آخر ، ومن الأدلة على كون « السراويل » أعجمية أنها لم تذكر في عصور الجاهلية ، فالظاهر أن العرب لم يستعملوها في ذلك العصر ، ونرى أن جمعها ناشئ من كونها ذات شعبتين للرجلين وقسم جامع بينهما فالثمنى سروال واليسرى سروال والجامع بينهما سروال فهي سراويل ، والسروال يشبه السربال في اللفظ ، وتعاقب الواو والباء معروف مألوف في لغة العرب ، إلا أنهم ميزوا بينهما فقالوا : « السربال ما يلبس من قميص أو درع والجمع سراويل ، وسربلته السربال فتسربله بمعنى ألبسته إياه فلبسه » كما جاء في المصباح المنير ، والسربال كان معروفاً عند العرب في عصر الجاهلية له فعل مستعمل حقيقة ومجازاً لتقدم زمان استعماله ، وعرفت جماعة من اللغويين السربال بأنه كل ما يلبس ، فعلى هذا يجوز أن يعد « السروال » لغة في « السربال » ويبطل الظاهر الذي أشرنا إليه من كون السراويل غير معروفة في عصر الجاهلية .

١٠٨ — وقال في ح ج م : وأحجمت عن الأمر ، بالألف : تأخرت عنه ، وحجمني زيد عنه ، في التمدي ، من باب قتل ، عكس المتعارف ، قال أبو زيد : أحجمت عن القوم إذا أردتهم ثم هبتهم فرجعت وتركتهم ، قلت : قوله عكس المتعارف ، يعني في كون

(١) راجع حواشي شارح العرب « ص ١٩٦ » .

(٢) رحلة ابن فضال « ٥٧ طبعة الدكتور سامي الزمان » ، قال : « وسراويل طاق وآخر

الهمزة معدية للثلاثي وكون الثلاثي لازماً لأن رباعيته يحتمل الهمزة ، والصحيح أن الثلاثي ما هنا متعد في الأصل ، فالهمزة إذن لغير التعدّي ، قال هو في خاتمة المصباح : « وقد جاء قسم تعدّي ثلاثيه وقصر رباعيه عكس المتعارف نحو أجفل الطائر وجفلته ، وأقشع الغيم وقشعته الريح ، وأنسل ريش الطائر أي سقطت ونسلته ، وأمرت الناقة : درّ لبنها ومريتها ، وأظارت الناقة إذا عطفت على بوها وظارتها ظأراً : عطفتها ، وأعرض الشيء إذا ظهر وعرضته : أظهرته ، وأنقع العطش : سكن ونقعه الماء : سكنه وأخاض النهر وخضته ، وأحجم زيد عن الأمر : وقف عنه ، وحجمته ، وأكب على وجهه وكببته ، وأصرم النخل والزرع وصرمته أي قطعته ، وأخض اللبن ، ومخضته ، وأثلثوا إذا صاروا بأنفسهم ثلاثة وثلاثهم : صرت ثالثهم ، وكذلك إلى العشرة ، وأبشر الرجل بمولود : سرّ به وبشرته ، والغريب في الأمر أن المؤلف - رح - ذكر ثلاثياً لازماً لأبشر إشاراً قال : « بشر بكذا يبشر مثل فرح يفرح وزناً ومعنى ، ... والمصدر البشور ويتعدى بالحركة فيقال بشرته أبشره بشراً من باب قتل في لغة تهامة وما والاها ، والتعدية بالتثنية لغة عامة العرب وقرأ السبعة باللغتين » ولم يذكر « أبشر » الرباعي ، وذكر « ثلثت الرجلين من باب ضرب : صرت ثالثهما » لا ثالثهم كما قال في الخاتمة مع أنه الصواب ، ولم يذكر « أثلثوا » الرباعي ، ولم يذكر في « ظأرت الناقة ظأراً أي عطفتها ولا أظارت هي إظأراً بل قال « وظأرت أظأرت بفتحين : اتخذت ظأراً » . ولم يذكر في ذلك أن أنقع العطش بمعنى سكن ولا نقعه الماء بل قال : « أنقعت الدواء وغيره إنقاعاً : تركته في الماء حتى انتقع .. ، ونقع الماء في منقعه نقعاً من باب نفع : طال مكثه فهو نافع ونقيع » ، ولم يذكر في « مرى » أمرت الناقة ولا مريتها .

وفي الحق أن أكثر ما ذكره الفيومي في هذا الأمر داخل في أبواب القياس ، فالهمزة أتت في قسم مما ذكر للمعينة كأصرم النخل أي دنا صرامسه ألا تراه هو نفسه يقول في

دراسة المعجمات اللغوية

مصباحه : « وصرمت النخل : قطعته ، وهذا أوان الصرام بالفتح والكسر ، وأصرم : النخل : حان صرامه » ، فقوله « حان صرامه » يفيد الحينونة وهذا مقيس ومثله « أحصد الزرع أي حان حصاده » قال هو في كتابه : « حصنت الزرع حصداً من بابي ضرب وقتل فهو محصود ... وهذا أوان الحصاد والحصاد وأحصد الزرع بالألف واستحصد إذا جازت حصاده » . فهل هذا مستدرك عليه ؟

وأنت الهمة للدخول في أفعال الأمكنة وما يختص بها ، كأعرض الشيء أي دخل في العرض أو حصل فيه ، فهو يقول في مصباحه : « وأعرضت في الشيء بالألف : ذهبت فيه عرضاً وأعرضت عنه : أضرت ووليت عنه ، وحقيقته جعل الهمة للصيرورة (كذا) أي أخذت عرضاً أي جانباً غير الجانب الذي هو فيه ، وعرضت الشيء عرضاً من باب ضرب فأعرض هو بالألف أي أظهرته وأبرزته فظهر هو ورز ، والمطاوع من النواتر التي تمدى ثلاثها وقصر رابعها عكس المتعارف » ، والحقيقة أن « أعرض » بمعنى دخل في عرض المسكان أو وقف في عرضه ، والجائي طولاً يري الداخل أو الواقف عرضاً ، ومنه عرض له أي وقف له في عرض الطريق ، وتعرض له أي كرر الوقوف له فيه .

ومقتضى قول الفيومي إن الهمة في « أعرض » للصيرورة غير صحيح لأن الصيرورة كالكينونة قال الرخشي في المفصل : « وأعمل للتعدية في الأكثر نحو أجلسته وأمكنته ولتعرض للشيء ... أو لصيرورة الشيء كذا نحو أغد البعير إذا صار ذا غلة وأجرب الرجل وأحز وأحال أي صار ذا جرب ونحاز وحبال في ماله ومنه ألام وأراب وأصرم النخل وأحصد الزرع وأجز ومنه أبشر وأفطر وأكب وأقشع الغيم^(١) » ، فهل يكون معنى « أعرض الشيء » : صار ذا عرض ؟ هذا المعنى غير مراد البتة . وقد اعترف الفيومي بأن الهمة أتت للقبول ، قال : « خاض الرجل الماء يتخوضه خوضاً : مشى فيه ... وأخاض

(١) المفصل ٤ س ٢٨٠ طبعة مطبعة التقدم بمصر .

الماء بالألف : قبل أن يخاض وهو لازم على عكس المعارف ، فإنه من النوادر التي لزمت رباعيتها وتعدى ثلاثيتها « والصحيح أنه قياسي فلا يصح كونه من النوادر ، وهو من ضوات همزة الدخول في الحال كأخاض وأحجم وأبلس أو في المكان وتوابعه كأعرق وأشأم وأنجد وأعرض ، أو في الزمان كأصبح وأحصد وأمسى أو في الحصول على الشيء كأورق وأجرب وأظارت الناقة .

١٠٩ - وقال في ح د ا : « وحدوته على كذا : بعثته عليه » ، ولم يذكر في ب ع ث « بعثته عليه » مع اشتهاره واستعماله إياه ، تقول : « حملته على الأمر وحرصه عليه وحدهاه عليه » بمعنى واحد على التقريب .

١١٠ - وقال في « ح ذ ا » : « والحذاء مثل كتاب : النعل وما وطىء عليه البعير من خفه والفرس من حافره » . ولم يذكر في « وطأ » تعديده الفعل بعلى بن قال : « وطئته برجلي أطؤه وطأ : علوته ويتعدى إلى ثان بالهمزة فيقال : أوطأت زيدا الأرض » وهو أي وطىء عليه من عبارات الصحاح ، وقد فسر المبارك بن الأثير الحذاء بالنعل في هذا الموضع قال : « وفي حديث ضالة الابل : معها حذاؤها وسقاؤها : الحذاء بالمد النعل ، أراد أنها تقوى على المشي وقطع الأرض وعلى قصد المياه ووردها ورعي الشجر والامتناع من السباع المفترسة ، شبهها بمن كان معه حذاء وسقاء في سفره وهكذا ما كان في معنى الابل من الخيل والبقر والحمار » . والواقع اللغوي يدل على أن نعل تلك الحيوانات كانت من جلد حيوان أو حديد ، فلابل الجلد ، وفي الصحاح « النعل : الحذاء ، مؤنثة وتصغيرها نعيلا ، تقول : نعلت وانعلت ، إذا احتذيت ... وأنعلت خفي ودابتي » . وفي لسان العرب « والتنجيل : تنجيلك حافر البرذون بطبق من حديد ، يقيه الحجارة ، وكذلك تنجيل حُف البعير بالجلد لثلاثي ، ونعل الدابة ما وقى به حافرها ، قال ابن سيده : أنعل الدابة والبعير ونعلها » . وقال الشريف الرضي : « وقد نهي

دراسة المعجمات اللغوية

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن أخذ ضوال الابل وهوامها ، والهوامي الضالعة ،
قال الشاعر :

همت فعلها بالسليحين وأوفضت بوادي ثميل عن جبين مشيد^(١)

أي ضاعت فعل^(٢) هذه الناقه بهذا الموضع المذكور ، وذلك لا يكون إلا عند تقطع
هليها وإحجاف السير بها^(٣) . ذكر الشريف الرضي ذلك عند شرحه مجاز قول الرسول
- ص - : « ضالّة المؤمن حرق^(٤) النار » قال الزمخشري : « النبي - صلى الله عليه وسلم -
قال له رجل : يا رسول الله ، إنا نصيب هوامي الابل ، فقال : ضالّة المؤمن حرق النار » ،
ثم قال الزمخشري : « الحرق اسم من الاحراق كالشفق من الاشفاق ، وعن ثعلب :
الحرق اللهب ، ويقال للنار نفسها حرق ، يقول : هو في حرق الله ، قال : شدّ سريعاً
مثل إضرام الحرق - يعني أن تملكها سبب العقاب بالنار »^(٥) .

مصطفى جواد

« له صلة »

(١) جاء في مطبوع الجازات النبوية - ص ١٩٤ - « همت فعلها بالسليحين وأوفضت » ، ومع إصلاح
لمعنه نست على بينة من صحة جميعه .

(٢) في اللغظة « بدل » وهو تصحيف ثان للفعل .

(٣) الجازات النبوية - ص ١٩٤ طبعة مصر .

(٤) ضبطها المرحوم الشيخ عمود مصطفى مدرّس الأدب بكلية اللغة العربية في الأزهر ، بتكليف الزاهد
والصواب فتحها .

(٥) الفائق ٣ : ٢١٤ من طبعة مصر .